

المحاضرة الثالثة

اللغة العربية واللغات السامية . اللغة العربية ولهجاتها

* اللغة العربية واللغات السامية

تصنف جميع اللغات عند العلماء إلى أسر لغوية على أساس أوجه الشبه بين تلك اللغات، وتتنحصر أوجه الشبه عادة في النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، وترجع اللغات المصنفة تحت أسرة لغوية واحدة قديمة تسمى اللغة الأم، كما هو الحال في أسرة الساميات، فإن الأصل المفترض لها هو السامية القديمة وتفرعت عنها بعد ذلك الساميات.

أولاً: الأسر اللغوية الكبرى: تصنف لغات العالم البالغة بين 2500 و 3500 لغة إلى

أربع أسر

أ – الهندوأوروبية.

ب – الأورالية الألتائية.

ج - الحامية .

د- السامية .

أ - فصيلة اللغات الهندية الأوروبية:

1- الجرمانية: (الألمانية الهولندية الأنجليزية السويدية الدنماركية)

2- اللاتينية: (الفرنسية الإيطالية الإسبانية البرتغالية)

3- اللغات السلافية: (الروسية الأوكرانية البلغارية البولندية التشيكية الصربية الكرواتية)

4- الهندية الإيرانية: (السنسكريتية في الهند - الأوردية (الأوردو) في باكستان - البنغالية والسندية في باكستان - اللغات الفارسية . الأفغانية - البلوشية - الخوارزمية - الكردية - والأرمينية واليونانية القديمة والحديثة والألبانية.

ب - فصيلة اللغات الأورالية الألتائية (الطورانية):

1- التركية.

2- التركمانية المنغولية

3- المنشورية

4-الأوزبك

5- القازقية

6- التارية

ج - فصيلة اللغات الحامية: وترجع إلى سلالة حام بن نوح عليه السلام ، وتنتشر

هذه اللغات في شمال إفريقيا وشرقها. أهمها:

1- اللغات المصرية القديمة.

2- اللغات البربرية (الأمازيغية).

3- اللغات الكوشية: ويتكلم بها السكان الأصليون في شرق إفريقيا في إثيوبيا والسودان

والصومال وإرتيريا.

د - فصيلة اللغات السامية: وترجع إلى سلالة سام بن نوح عليه السلام ، وتنتشر هذه اللغات في بعض آسيا وبعض إفريقيا، بعضها انقرض وبعضها استمر كما هو الحال مع العربية. وتشمل هذه الفصيلة::

1- الأكادية (البابلية والآشورية)

2- الكنعانية (الفينيقية والعبرية)

3- الأرامية

4- العربية

5- الحبشية

6- وما تفرع من هذه اللغات. ويطلق اسم الساميين على الشعوب الأرامية والفينيقية والعبرية والعربية والبابلية والآشورية. الجزيرة العربية هي المهد الأول للساميين:

ثانيا: فروع اللغات السامية: تنقسم اللغات السامية إلى فرعين:

أ- اللغات السامية الشرقية (الأكادية): نسبة إلى أكد وهي من مدن العراق القديم، وتتفرع إلى :

1- البابلية (مدينة بابل) 2- الآشورية (مدينة آشور)

ب- اللغات السامية الغربية؛ وتتفرع إلى:

1 - اللغات السامية الغربية الشمالية: وتتفرع إلى فرعين:

1 - 1 الكنعانية ولغاتها: الكنعانية ، الفينيقية والعبرية

1- 2 الأرامية ولغاتها 1 التدمرية-2- النبطية 3-- الأرامية 4- السريانية 5- المندانية (لهجة الصابئة)

2 - اللغات السامية الغربية الجنوبية: وتتفرع إلى ثلاثة فروع:

أ- العربية الجنوبية (الحميرية): السبئية والحضرية والقبتائية

ب - الحبشية: الأمهرية (إثيوبيا) والتيجرية (إريتريا والجوارجية والهررية والجعرية .

ج - العربية الشمالية: تنقسم إلى قسمين:

1- العرب البائدة وجدت في نقوش اللحيانية والصفوية الثمودية

2- العربية الباقية التي نزل بها القرآن الكريم.

ثالثا: خصائص اللغات السامية:

- يتألف الأصل السامي للكلمة في الغالب من الجذر الثلاثي، وبعضها من حرفين مثل: هو، هي.

- تكثر في الساميات الأصوات الحلقية: (الهمزة والهاء والعين والغين والحاء والخاء).

- يكثر تأنيث الاسم والصفة في اللغات السامية، بإضافة تاء للمذكر، مثل: حسن - حسنة

وعادل - عادلة.

- نظام خاص في تكون الجملة وربطها بروابط محددة، الواو، الفاء، ثم.

***اللغة العربية ولهجاتها**

أولا: تعريف اللهجة:

اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث: «هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات»، مما سبق يتضح لنا أن اللهجة هي الخصائص أو الصفات التي يتميز بها أهل بيئة ما في طريقة أداء اللغة ونطقها، واللغة تنتشعب منها لهجات مختلفة، لها نظام واحد يحكمها.

وقد استخدم القدماء مصطلح اللسان واللغة، فاللسان يقصدون به ما نسميه اليوم اللغة، فيقولون لسان عربي، لسان فارسي، لسان رومي، أما اللغة فهي عندهم اللهجة، كلهجة قريش، تميم وغيرها.

واللهجات تختلف في الجوانب الصوتية والدلالية، وبدرجة أقل الجوانب الصرفية والنحوية، لأن للصرف والنحو قوانين ثابتة بخلاف الجانب الصوتي الذي يخضع للأداء، وأما الجانب الدلالي فالمعاني مختزنة في العقل، ولا تخضع في الغالب لقانون، واللهجات العربية تختلف غالبا في الجانب الصوتي، مثل نطق الهمزة، أو الألف، أو الحيم، أو الذال، أو تفخيم صوت أو ترفيقه، أو اختلاف في مواضع النبر. قال الأصمعي: «اختلف رجلان فقال أحدهما: (الصقر)، وقال الآخر: (السقر)، فتراضيا بأول وارد يرد عليهما، فإذا رجل قد أقبل، فسألاه. فقال: ليس كما قلت أنت، ولا (كما قلت أنت)، إنما هو الزقر».

ثانيا: عوامل نشأة اللهجات:

نشأت اللهجات العربية نتيجة لانعزال بعض القبائل وتمسكها بعباداتها وتقاليدها، وهناك سبب آخر هو الصراع اللغوي نتيجة الاحتكاك إما بالهجرة أو الغزو، وهذا الاحتكاك يؤدي إلى تداخل اللغات و تأثيرها في بعضها البعض، قال إبراهيم أنيس: «هناك عاملان رئيسيان يعزى إليهما تكون اللهجات في العالم هما:

أ- الانعزال بين بيئات الشعب الواحد.

ب- الصراع اللغوي نتيجة غزو، أو هجرة.

وقد شهد التاريخ نشوء عدة لهجات مستقلة كلغة واحدة. نتيجة أحد هذين العاملين، أو كليهما معا، فحين نتصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها، وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية، أو اجتماعية، نستطيع أن نحكم على إمكان تشعب هذه اللغة الواحدة إلى لهجات عدة»، واللغة التي تتسع وتفصل بين أراضيها عوامل جغرافية واجتماعية نستطيع أن نتصور إمكانية تشعبها إلى عدة لهجات نتيجة قلة الاحتكاك، خاصة إذا طال هذا الانعزال قرنا أو قرنين، لأن اللغات في تطور دائم.

أما العامل الثاني عامل الاختلاط أو الاحتكاك، فهو ضرورة تاريخية لاستحالة انقطاع شعب أو قبيلة عن أي احتكاك خارجي لمدة طويلة جدا. والاختلاط بين لغتين أو لهجتين، لا يكون دائما على وتيرة واحدة، لأن اللغات تختلف في القوة والضعف، منها من تصمد عند الاحتكاك وتظهر قدرا كبيرا من المقاومة، وذلك لأسباب متعددة نذكر منها، تطور أهلها، وحرصهم عليها كأن تكون لغة دين يتعبدون بها، أو ربما تكون بعض الخصائص في اللغة نفسها.

وقد تكون عوامل سياسية مثل خضوعهم لسلطة واحدة، أو اعتناقهم لدين جديد، سيساعد على دخول ألفاظ واصطلاحات جديدة، وقد يرجع السبب إلى اللغة نفسها التي تحمل قوة الثبات بين جنباتها مثل اللغة العربية التي لها منظومة صوتية رائعة، أصواتها موزعة توزيعا عادلا على المدرج الصوتي، وهي لغة أوزان فأوزانها معلومة معدودة، بالإضافة إلى أنها لغة معربة الكلمة

فيها حرية التقديم أو التأخير وفقا للسياق، لأن الإعراب هو الذي يحدد وظيفة الكلمة في الجملة، وتحمل أيضا قوة التطور لأنها لغة اشتقاقية.

ثالثا: مراحل الصراع بين اللهجات:

وللصراع اللغوي بين اللغات أو اللهجات مراحل منها: غزو ألفاظ اللغة القوية، لتحل محل اللغة المقهورة تدريجيا، طبقا لقوة اللغة أو لضعفها وربما انتصرت وطغت عليها، كما طغت لهجة قريش في جزيرة العرب، وكما صنعت اللغة العربية لما غزت اللغات القبطية والبربرية، فلم تنترك لها شيئا إلا بعض المفردات.

أما إذا كانت اللغتان متكافئتين فإن الصراع سيطول، وإذا قدر لواحدة منهما أن تنتصر، فستخرج من هذا الصراع منهكة قد احتفظت بمفردات كثيرة من اللغة المنهزمة.

وأما المرحلة الثانية، فهي تغير مخارج الحروف، ويقترّب النطق بها من النطق بأصوات اللغة الجديدة، حتى تطابق اللغة المنتصرة أو تقترب منها، لأن المغلوب مولع بمحاكاة الغالب في كل شيء حتى في نطق الأصوات، وتعد هذه المرحلة من أخطر مراحل الاحتكاك والصراع، لأنها تقترب من اللغة الغالبة وتزداد بعدا عن اللغة الأصلية، فإذا ذهب جيل وجاء جيل آخر نجد الأمر يزداد سوءا.

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الذوبان، حيث تفرض اللغة المنتصرة قوانينها الصوتية والصرفية والنحوية، وتبدأ في إحلال المعاني المجازية والاستعارات، محل اللغة المغلوبة، التي قد أشرفت على الموت، ولكن اللغة المنتصرة لا يكتب لها النصر إلا بعد أجيال متعددة وأزمنة طويلة، وقد لا يكتب لها النصر أبدا إذا كانت اللغتان تعودان إلى أصل لغوي واحد أو هما شقيقتان.

متى اجتمعت لغتان في صعيد واحد، فإنه لا مفر إطلاقا من أن تتأثر كل منهما بالأخرى، سواء في ذلك أتغلبت إحداهما على الأخرى، أم بقيت كل واحدة منهما بجوار أختها»

فعندما تغلب لغة لغة أخرى، فاللغة الغالبة تجعل من كل ما تأخذ غنيمة حرب وتجعله من عناصرها فتزداد قوة ونشاطا وتحدا، دون أن يؤثر في بنيتها الأساسية، أما اللغة المغلوبة، فلا تستطيع أن تصمد أمام إغارة اللغة المنتصرة، وما تقذفها به من ألفاظ، وقواعد وقوانين، وأخيلة وأساليب، فتضعف ويدب فيها الوهن إلى أن تموت، كما فعلت العربية باللغات الكنعانية والأكدية، والنبطية، والآرامية التي كانت متاخمة للغة العربية من الناحية الشمالية في العراق والشام.

أما إذا كتب اللغتين البقاء، فإن كل لغة تحاول استثمار ما أخذته من اللغة الأخرى في صراعها الطويل، مع اللغة الأخرى، وتضيفه إلى مكوناتها وقواعدها وأساليبها، وتتخلى عن الآثار الضارة والناس تختلف أحوالها في تلقي اللغات، فمنهم من يخف ويسرع، ومنهم من يستعصم ويتمسك بلغته ولا يحيد عنها، بسبب حبه لها وإيثاره إياها، أو لصعوبة تحول لسانه إلى لغة غيرها.

جاورت العربية عدة لغات منها ما هو من فصيلتها السامي، ومنها ما هو من الفصيطة الحامية ومنها ما هو من اللغات التي يطلق عليها اسم الهندوأوروبية، فقد جاورت الفارسية من الشرق، والسريانية والرومية والنبطية من الشمال، واحتكت بالعبرية والقبطية من الغرب، وخالطت الحبشية واليمنية القديمة من الجنوب، «فالكلمات العربية الدالة على مظاهر الحياة الحضرية، وما إليها من الأمور التي لم تكن مألوفة في البيئة العربية الأولى، ومعظم الكلمات المتعلقة بمنتجات الصناعة، وشؤون التفكير الفلسفي انتقلت إلى العربية من الآرامية، وصراع العربية مع الفارسية أثر في كلتا اللغتين في كثير من المفردات والتراكيب بل في الأساليب والأخيلة».

رابعا: أنواع الاختلافات اللهجية:

الاختلافات الواقعة بين لغات (لهجات العرب تشمل بعض الأصوات والكلمات والتراكيب، فمن الاختلافات الصوتية:

الاختلاف في نطق بعض الأصوات:

كلمة الصراط: هي لغة قريش، والسراط: لغة عامة العرب غير قريش، والزراط بإشمام الصاد زايا : لغة قيس.

الاختلافات الصرفية:

صيغة فعل الأمر: يقول بنو تميم: شد، واستعد، وفر، يا غلام بينما يقول أهل الحجاز : اشدد، واستعد، وافرر.

وقد يكون الاختلاف في الحركات، مثل: نستعين ونستعين بفتح النون وكسرها، فالفتح لغة قريش وأسد، والكسر لغة تميم وعامة العرب.

وقد يكون الاختلاف لهجياً أي الكلمة: يقول النجديون وتميم: حصاده، بفتح الحاء، ويقول عامة العرب: حصاده بكسرها.

وقد يكون الاختلاف في بنية الكلمة، إذا كانت الكلمة ثلاثية وعينها أحد حروف الحلق، فبعض العرب تفتحها، نحو: المعز المعز.

وقد يكون الاختلاف في التخفيف والإشباع نحو: عليهم عليهمو.

خامساً: أشهر اللهجات: تتعدد اللهجات العربية، ومن هذه اللهجات:

- **الكشكشة:** في هذه اللهجة يستبدل حرف الكاف بالشين مكان الكاف عند مخاطبة الأنثى، فيقال بدلاً من عليك ومنك، (علّيش) و(منّش).

- **الكسكسة:** في لهجة الكسكسة يُستبدل حرف الكاف بالسين، أو يُضاف حرف السين في نهاية الكلمة، مثل قول عنكس بدلاً من عنك

- **القطعة:** وفيها يُقطع الكلام، مثل قول الحكا بدلاً من الحكم، أو مكا بدلاً من مكان .

- **العججة:** وفي هذه اللهجة يُستبدل حرف الياء بالجيم كقول راعج بدلاً من راعي .

- **العنفة:** وهنا تُستبدل همزة بحرف العين مثل إذن التي تقال عذن

- **الطمطمانية:** وهي استبدال اللام بالميم، إذ يقال امبر بدلاً من البر

- **الوتم:** وفي لهجة الوتم يُستبدل حرف السين بالتاء، مثل النات بدل الناس .

- **التنتلة:** وفي هذه اللهجة يُكسر أول حرف الفعل المضارع .

- **الاستنطاء:** وفي هذه اللهجة تُستبدل العين الساكنة بالنون، كقول أنط بدلاً من أعط .

- **الخلخائية:** كقول مشا الله بدل ما شاء الله .

- **الوكم:** وفيها يُكسر حرف الكاف المسبوق بياء مثل قول السلام عليكم .

- **الوهم:** وهنا يُكسر حرف الهاء مثل كلمة عنهم .

- **الفحفحة:** وفي لهجة الفحفحة يُستبدل حرف العين بحرف الحاء، مثل عنك بدلاً من حنك .

- **الشنشنة:** وفيها تُستبدل الكاف بالشين، مثل لبيش بدل لبيك

سادساً: فوائد دراسة اللهجات:

اللهجة ظاهرة لغوية موجودة في كل اللغات، كما أسلفنا، لأن اللغات تميل إلى الانشطار والانقسام، ودراسة اللهجات تمكننا من التعرف على تطور اللغة، ومراحل هذا التطور بالنسبة للأصوات أو المفردات أو التراكيب أو الدلالة. تفيدنا دراسة اللهجات في تفسير بعض القضايا العربية مثل: ظاهرة الترادف والمشارك اللفظي، والتضاد، والإبدال، وغيرها من القضايا التي نرجع جزءاً منها إلى الاختلافات اللهجية. تفيدنا في تفسير وتخريج كثير من القراءات القرآنية وتفسيرها، لأن الكثير من الاختلافات يعود إلى اختلافات لهجية، والقراءات القرآنية هي مصدر

أصيل من مصادر دراسة اللهجات، ومرآة صادقة تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائدا زمن نزول الوحي.